

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[372] عصى موسى، وأضافوا عليها الحبال ليثبتوا علوهم وفضلهم عليه... فتهللت

أسارير وجوه الناس ووجه فرعون فرحاً، وأشرق الأمل في عيني فرعون وأتباعه، وسُروا سروراً لم يكن ليخفى على أحد، وسرت فيهم نشوة اللذة من هذا المشهد! إلا أن موسى (عليه السلام) لم يمهل الحاضرين ليستمر هذا المشهد ويدوم هذا الفصل المثير، فتقدم (فألقى موسى عصاه) فتحولت إلى ثعبان عظيم وبدأت بالتهام وسائل وادوات السحرة بسرعة بالغة (فإذا هي تلقف ما يافكون). (1) وهنا طاف صمت مهيب على وجوه الحاضرين وغشاهاهم الوجوم وفغرت الأفواه من الدهشة والعجب، وجمدت العيون، ولكن سرعان ما انفجر المشهد بصراخ المتفرجين المدعورين ففر جماعة من مكانهم وبقي آخرون يتربعون نهاية المشهد، وأفواه السحرة فاعرة من الدهشة... و تبدل كل شيء، وثاب السحرة إلى رشدهم بعد أن كانوا - إلى تلك اللحظة - مع فرعون غارقين في الشيطنة، ولأنهم كانوا عارفين بقضايا السحر ودقائقه، فإنهم تيقنوا أن عصا موسى لم تكن سحراً، بل هي معجزة إلهية كبرى (فألقى السحرة ساجدين). الطريف أن القرآن يعبر عن خضوع السحرة بـ "ألقوا" وهذا التعبير إشارة إلى منتهى التأثير وجاذبية معجزة موسى لهم، حتى كأنهم سقطوا على الأرض وسجدوا دون اختيارهم... واقرن هذا العمل العبادي - وهو السجود - بالقول بلسانهم فـ (قالوا آمنا برب العالمين). ولئلا يبقى مجالاً للإبهام والغموض والتردد، ولئلا يفسر فرعون ذلك تفسيراً

_____ 1 - (تلقف) مشتق من (اللقف) على زنه (السقف) ومعناه

إمساك الشيء بسرعة، سواء كان ذلك باليد أم الفم، ومعلوم أن المراد هنا الإمساك بالفم والإبتلاع، و (يافكون) مشتق من (الإفك) ومعناه الكذب، وهي إشارة إلى وسائلهم الباطلة.